مثلا شعبيا : « كل شيء في وقته يعسل » .

٥ ــ **ايقاع الجملة** : تتداخل هــذه العناصر الايقاعية ، لتشكل ايقاعا خاصا بالجملة النثرية . فيجري ادغام الجناس والتكرار والكلمات العامية داخل بنية جملة **متوازية** : « فذلك حين أفرطت في الولاء حتى أصبح في عرفهم تفريطا » . أو يجري التركيز على عنصر ايقاعي واحد ــ حرف يتكرر ــ ليستخرج من عناصره نكتة سوداء . نقرأ في الكتاب الاول هذا المقطع :

« ــ نحن من الكويكات التي هدموها وشردوا أهلها ، فهل التقيت أحدا من الكويكات .

فأعجبني ترديد الكاف في الكويكات . فعاجلت ضحكتي قبل أن تنطلق لولا صوت امرأة جاء من وراء المزولة غربا :

ــ البنت ليست نائمة يا شكرية ، البنت ميتة يا شكرية » .

الكاف التي كادت تضحك المتشائل وتضحكنا تتحول في « شكرية » الى كاف مأساوية .

٦ ــ **الصورة ــ الحركة** : حين تقترب الرواية من السيرة ، فانها تأخذ بعض عناصر السيرة لتقوم بتأطيرها بشكل جديد . وتلعب الصورة ــ الحركة في هذه الرواية دورا تشكيليا هاما ، لانها تمد الواقع في مساحة كبيرة ثم ترفعه الى مستوى الرمز . ففي لقاء الحاكم العسكري بالمرأة التي تحاول العودة الــى قريتها ــ البروة ــ تصبح الصورة الشاملة ، مدخلا تشكيليا مليئا بالرموز : « فكلما ابتعدت المرأة وولدها عن مكاننا ، الحاكم على الارض وأنا في الجيب ، ازدادا طولا حتــى اختلطا بظليهما في الشمس الغاربة . وصارا أطول من سهل عكا . فظل الحاكم واقفا ينتظر اختفاءهما وظللت أنا قاعدا انكمش . حتى تساءل مذهولا : متى يغيبان ؟ » .

٧ ــ **الحركة ــ الكاريكاتورية** : تستعين الرواية كثيرا بالاشارات الكاريكاتورية ، تضخم ، ثم تعود الاشياء الى حجمها الطبيعي ، « فمنذ أن أصبح سر باتية سري ، أصبحت الحذر مجسما يمشي على اثنتين . فلما أدركت ان الحذر هو من ذوات الاربع ، رحت أمشي على أربع » . ثم تنمسرح هذه الحركة كما في رقصة العلم والمكنسة . أو تصبح مشهدا سينمائيا يشبه الافلام الصامتة كما في مشهد مجيء يعاد الاولى .

تتداخل هذه العناصر الايقاعية ، في بنية موحدة تتشكل في مستويين :

أ ــ **دائرية النص** التي تحيل الرتابة الى حركة تتقدم . فهذه الدائرية التي تؤكد على التكرار : استعادة لحظة ماضية لتقوم انطلاقا منها بالتقدم : الانطلاق في سبيل كشف حدثي جديد . هكذا يتقدم النص في دائريته ، دون ان يتوقف عند ذروة مركزية توحد . فالعامل الموحد هو شخصية البطل .

ب ــ **الرمز الشامل** الذي ينطلق مــن وقائع عينية ليقوم باعطائها بعدا يمتــد على مساحــة الرواية . ــ **الكنز** الذي يتحول من مجرد حلم شعبي الى واقع سياسي . أو **انتظار يعاد** الذي يصبح انتظارا للوطن .

هكذا يأتي الايقاع الروائي **لغويا** وقادرا على الامتداد في حيز يعتقل أزمنــة متعددة في توال شخصي ، يهيمن عليه الحلم المأساوي .

الرؤية واطارات الواقع : تنطلق هذه الرواية من اطارات محددة ، حيث يلعب التراث ، والحكمة الشعبية ، دورا متزايدا ، في مواجهة قمع قومي عنيف . لذلك فهي حين تقترب من السيرة ، تقترب كذلك من شروطها التاريخية . فلقد نشأت السيرة ــ سيرة عنترة تحديدا ــ زمن الغزو الصليبي . وهي حين تلتقط من الحكاية الشعبية الكثير مــن عناصرها ، فانها تقترب من التراث الشعبي الذي يلعب دورا تقدميا في مكان محدد . لكنها في اقترابها من هاتين الصيغتين تحافظ على استقلالية فنية واسعة . تلتقطهما لتصبهما في قالب من الرؤية الاستدلالية الواقعية وتوظفهما في خــدمة مقترب سياسي . هكذا تأتي الابعاد المتعددة في شخصية سعيد أبي النحس المتشائل ، وانماط علاقاتها ، وذكرياتها لتقدم نمطا يجمع المكر الشعبي ــ على نمط جحا ــ الى السذاجة الكاملة . لكن هذه الشخصية حين تتقلب وتمر بتجارب متعددة ، فانها تغتني بالافاق التي يطرحها الواقع . تصبح علامة فنية تسمح للمستوى التشكيلي للرواية بالتقدم ، كما تقدم امكانيات تعليمية سياسية ، لا تتوقف عند الحد الانفعالي بل تعقلنه : « ولكن الامر لم يقف عند هذا الحد . فقد رحت أتعجب من جهل العامل اليهودي باللغة العبرية ، حتى أقنعت نفسي ان